العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٤٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٢٥ ريالاً للأفراد و٧٥ ريالاً للغير الأفراد
البريدية: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٦ ريالات

ج٩ و١٠ س١٣ — الربيعان ١٣٩٩هـ — آذار / نيسان (مارس / ابريل ١٩٧٩) م

بلاد الأحساء

في هذا الجزء حديث عن رحلتي الأولى إلى الأحساء ، ذكرني بمقال كنت كتبته عن هذه البلاد بعد عودتي منها ، وفيه تعبير عما بقي في نفسي من انطباعات عن تلك البلاد .

وقد نشرته مجلة « المنهل » في جزء (رجب – شعبان) سنة ١٣٦٠ في سنتها الخامسة (١) أي منذ ما يقرب من أربعين سنة .

وقد رأيت المناسبة تدعو إلى إعادة نشره ، على ما هو عليه ، مع تغير أحوال تلك البلاد ومع احتواء المقال على معلومات اتضح لي فيما بعد أنها بحاجة إلى تصحيح أو إكمال ، حين شرعت بتأليف القسم المتعلق بهذه البلاد من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » الذي أتممته ، وآمل أن أقدم للقراء بعض أبحاثه .

وها هو نص ذلك المقـــال :

في الأحساءِ أمكنة هي من أجل مصايف البلاد العربية لتوفُّرِ الأمور التي يتوقف صـلاح المصيف فيهـا ، ولا ريب أن من أهم تلك الأمور ملاءمة المناخ ، ووفرة المياه وصلاحها وجمال المناظر وبهجتها ، فأما المناخ فإن القسم الغربي من تلك البلاد ، الذي يقع في وسطه أكبر مدينة هناك مرتفع عن سطح البحر ، وواقع في أرض منبسطة ليس فيها جبال ، ولا آكام صخرية – مما يسبب اشتداد الحر . أو منع تموج الهواء والبلدان الواقعة في هذا القسم تكون على مرتفع من الأرض ، وتتكون من طبقتين غالباً وذلك مما يزيد في صلاحيتها للسكنى وقت الصيف ، ودرجة الحرارة وإن كانت في بعض المدن تقارب درجة حرارة مكة –

---

(١) نشرته « المنهل » بعنوان : (معلومات لم تنشر عن مصيف : – الأحساء : مناخها ، بعض قراها ، مياهها ، وفرة فواكهها ، جمال مناظرها ، صيفها ، تاريخها قديماً وحديثاً) من ص ٢ إلى ص ١٩ .

لا تتجاوز الأربعين بالميزان المئوي ، في كثير من القرى . وليس من المبالغة القول بأن بعض الأماكن في حَمَّارَةِ القيظ لا يُحِس الإنسان فيها للحر أثراً أكثر مما يحس به حينما يكون في بلاد معتدلة المناخ من بلدان المملكة

وإنني لأذكر أنني ذهبت مرة إلى جبل قريب من قرية (القارة) فيه مغارات أصلية فشعرت وشعر من معي – بما يشعر به كل زائر لذلك الجبل – من البرد ورقة الهواء بما يذكر ببرد الشتاء ، ومما يضايق الإنسان في تلك البلاد اشتداد السموم ولكنه لا يحس به إلا من تعرض له ، أما من استعمل الوسائل التي تحول بينه وبين السموم – وما أكثرها في تلك البلاد الكثيرة المياه والبساتين ! – فانه لا يشعر بشدته ، ومن الوسائل : الاصطياف في إحدى القرى المحفوفة بالبساتين من كل جهاتها ، وأغلب القرى الواقعة في الجهة الغربية هناك والصالحة للاصطياف فيها بهذه الصفة – ومنها ما يمتاز بجمال الموقع وارتفاعه ورقة هوائه وعذوبة مائه .

ومن تلك القرى قرية (المُنَيْزِلة) الواقعة في الجنوب الشرقي من (الهفوف) بمسافة لا تزيد عن ساعتين مشياً على الأقدام ، وقرية (الفُضُول) الواقعة في الجنوب الغربي من (المنيزلة) والقريبة منها وقرية (الشَّهَارِين) القريبة من (الهفوف) وغيرها من القرى الكثيرة .

ومن الظواهر الغريبة أنك قد تحس في النهار بشيء من الحرارة وسرعان ما يزول ذلك إذا أقبل الليل ، حيث يكون الهواء رقراقًا ، والجو صافياً ، والنسيم منعشاً .

ولقد اصطفت في الطائف وفي ينبع النخل وفى ظبا وفي القاهرة وفي كثير من بلدان نجد ، وكلها أمكنة صالحة للاصطياف ، ولكني

وجدت الصيف في الأحساء لا يقل طيباً وحسناً عن أجمل تلك البلدان صيفاً ، – إن لم يفق الكثير منها – ولعل هذا الحكم مني من قبيل قول الشاعر : (وعين الرضا) ولكنني أقول ذلك عن اطمئنان وثقة بما أقول مؤكداً أن الليل هناك أجمل بكثير من البلدان التي ذكرتها .

أما المياه وغزارتها ، وعذوبتها وصفاؤها فتلك البلاد تمتاز عن بقية بلدان المملكة بها ، وما سمى آباؤنا ذلك القسم من بلادهم باسم (البحرين) و (الأحساء) إلا لكثرة مياهه . فعيونه الثَّرَّة ، وأنهاره الجارية وآباره الغزيرة ، أقوى مؤيد لصحة تلك التسمية ، ولعل بعض القراء يفهم من كلمة الأنهار شيئاً من المبالغة في التعبير ، والحقيقة أن في الأحساء أنهاراً ، منها نهر عظيم – عظمة نسبية – يسمى (الخدود)[1] لِخَدِهِ الأرض بِقُوَّة جريانه ، يزيد عرض مجراه عن عشرين متراً ، ويجري ماؤه جرياناً قوياً ، بحيث لا يستطيع الإنسان حينما يقف قريباً من منبعه أن يملك توازنه ، وذلك النهر يسير متجهاً نحو الجنوب الشرقي ويسقي نخيلا كثيرة ، وهو واقع في الجهة الشرقية عن الهفوف ، ولا يبعد عنه أكثر من مسيرة نصف ساعة سيراً على القدم وبقربه في الجهة الشمالية منه يقع نهر آخر يسمى (الْحَقْل) منبعه يشبه البحيرة ، ومجراه عريض ، وماؤه غزير ، ويتفرع منه – كالخدود – عدة جداول تسقي كثيراً من النخيل ومزارع الأرز والبساتين ، وماء هذين النهرين يزيد عن حاجة الأهالي فيتركون الزائد تبتلعه الأرض ، ويكون مستنقعات في أراض قفراء ، ومن الأنهار نهر الجوهرية ويقع مجاوراً لموقع بلدة الأحساء القديمة

(١) في كتب اللغة ومعاجم الأمكنة اسمه (خدد) بضم الخاء وفتح الدال .

بين « المبرز » وقرية « الْبَطَّالِية » ويقع في الشمال الشرق من الهفوف مسيرة ساعة ، ويتفرع من ذلك النهر عند منبعه جداول غزيرة المياه وكثير من المزارع والنخيل القريبة من « البطالية » تسقى من ذلك النهر ومن عين قريبة تسمى « القُحَيْبَات » وغيرها .

ومنها نهر يسمى « أُم سبعة » يقع في الجهة الشمالية من الهفوف مسافة ساعة ونصف ، يتفرع منه سابقاً سبعة جداول وخمسة في الوقت الحاضر ، ومنظر ذلك النهر من أجمل المناظر وأبهاها رونقاً تحف به النخيل من الجهة الشرقية وجهته الغربية عبارة عن كثيب من الرمل فيه نخيلات قليلة ، وشدة نبع الماء من ذلك النهر مما يسترعي النظر ويدهش اللب بقوته .

وبقرب « المبرز » نهر أشبه ببحيرة تزيد مساحتها عن أربعين متراً مربعاً يسمى « الحارة » ولعله هو ما يسمى في كتب التاريخ بنهر« محلم » فكثير من صفات نهر «محلم» التي ذكرها المؤرخون تنطبق عليه ومنه يستعذب أهل المبرز الماء لقربه وعذوبة مائه مع وجود آبار كثيرة عذبة في داخل البلدة ، وماء ذلك النهر حار وقت نبعه وسرعان ما يبرد .

وفي (الأَحساء) عيون كثيرة كبيرة وصغيرة والماء في كثير من المواضع الي لا عيون فيها قريب من سطح الأَرض .

ولقد ذهبت أَنا والأُستاذ عبد الرحيم الأَهدل إلى قرية « جواثَى » القريبة من المبرز ذات الشهرة العظيمة في تاريخ الإسلام ، والتي لم يبق منها سوى أَطلالها ، وما أَشد دهشتي حينما رأَيت تلك الأَرض الرملية نَديَّةَ التربة ، وبمجرد حفرها بيدي جَمَّ ماءٌ عذب من تلك الحفرة التي لا تزيد عن شبر ، وكثير من العيون في تلك البلاد تنبع بقوة لا تحتاج

معها إلى حفر السواقي ، لأنها ترتفع في الغالب حتى تساوي سطح الأرض أو ترتفع عليه ، ومن المدرك بالبداهة أن كثرة المياه مما يلطف الجو ، وأن ذلك من أهم الأمور التي يحب توافرها في المصايف ، وما أجمل منظر الأنهار الجارية بين بساتين قد كسيت أرضها بحلل سندسية ، من النبات المظلل بظلال وارف من أشجار النخيل والفواكه المثمرة ،والنباتات الكثيرة الأزهار ، العطرة الروائح المختلفة الألوان ! !

أما الفواكه – وهي مما لا غناء للمصطاف عنه – فمتوفرة وقيمتها زهيدة ،من أكثرها الرطب وهو مما امتازت به الاحساء على كثير من البلدان وفي الأمثال العربية « كمستبضع التمر إلى هجر » وهو رخيص جداً ، يوضع في أقفاص من الجريد يبدو ما في داخلها من خلال الجريد ويباع القفص الذي فيه ما يزيد على أربع أقات تقريباً بأقل من عشرة قروش إذا كان رطبهُ فاخراً .

ويوجد في الأحساء أنواع كثيرة للنخيل ومنها : الأشهل والطيار والمجناز والغر والحليلي والخنيزي والخُلاَص والرُّزَيزى والشيشي والشبيبي والحاتمي والخصاب والتَّناجيب والبَرْحي والصيوة والجبجاب والحِلاوي والهلالي وأم رُحَيْم ومرزبان البحرين ، ومرزبان الحساء ، والكاسبي والوصيلي والزاملي والحريزي ، ونبتة سيف والمحمي والسُّكَيْمِلي والبُريكي والزنبور والبريم واللؤلؤى والعذابي وغير ذلك من الأنواع الكثيرة وموسم الرطب في الاحساء يمكث أكثر من نصف السنة .

وفيها من الفواكه العنب والرمان والتين والخوخ وغير ذلك من الفواكه والخضروات التي لا يوجد مثلها كثرة في كثير من بلدان المملكة

ومما يوجد هناك بكثرة الأُتْرُجُّ والأهالي يكثرون من غرسه ولكنهم يبيعونه بثمن بخس ، ومن المعلوم أن كثرة المياه وصلاح التربة مما يساعد على وجود الثمار ووفرتها والاحساءُ هي بهذه الصفة .

ومتى هيأ الله لها رجالاً جمعوا بين العلم والعمل ، واتصفوا بالجد والنشاط والقوة واهتموا بوسائل اصلاحها في جميع مرافقها الحيوية ـ أصبحت أخصب بقعة في البلاد العربية ، وأوفرها إنتاجاً وأكثرها خيرات ، وقامت بسد حاجات الأقطار المجاورة لها كما كانت في عهدها الماضي المجيد .

تاريخ الأحساء :

ولعل القارىء بعد أن جلوت عليه صورة لها في هذا العهد اشتاق إلى معرفة لشيء من تاريخها ، الذي يعد حلقة مفقودة من تاريخ بلاد العرب في كتب التاريخ التي بين أيدينا ـ وذلك ما يدفعني إلى إيراد نبذة ملخصة في هذا الموضوع .

العهـــد الجـــاهلي :

إن ما نعبر عنه في هذا البحث بالأحساء هو ما يعبر عنه متقدمو المؤرخين باسم (البحرين) ويقسمونه إلى قسمين .

(الخط) ويعنون به القسم الساحلي وما قرب منه ومن مدنه (القَطِيف) و (العُقَيْر) و (عَيْنَين) التي ينسب إليها الشاعر خُلَيْد .

و (هجر) ويقصدون به القسم الغربي من ذلك الإقليم ومن مدنه (الأحساء) التي صارت في عهد القرامطة العاصمة ، والتاريخ الجاهلي لهذه البلاد مجهول لا يستطيع الباحث أن يهتدي إلى شيء من معالمه إلا بعض

حوادث يذكرها بعض المؤرخين عَرَضاً وهي وهي مشوبة بما يبعدها عن الحقيقة أو يجعلها غير صالحة للاستنتاج والتعليل .

وقد كان من الأُمم التي سكنت هذه البلاد على قول المؤرخين (العمالقة) و (الجرامقة) و (الحثيون) و (الفينيقيون) وقد عثر للأخرين على آثار في الساحلي كما أن بعض المواضع لا يزال محتفظاً بالإسم الفينيقي « كالجبيل [1] » و « القيصرية » و « الكوت » وبعض الباحثين يرجح كون أصل الكلمة الأخيرة كلدانيا والبعض يقول بأنها من آثار البرتغاليين الذين استولوا على ساحل الخليج الفارسي في القرن العاشر الهجري ، والرأى الأخير مرجوح .

وذكر المؤرخون أن الفرس استولوا على تلك البلاد . وأول من استولى عليها من ملوكهم أزدشير الذي أسر ملكها (سنطرق) وقتله تغريقاً في البحر ، وقد امتدت سلطة الفرس عليها حتى جاء الإسلام فأسلم من مرازبتهم اسيخب وأسد آباد كما أسلم الملك العربي من قبلهم لتلك البلاد المنذر بن سَاوَى » ومن آثار الفرس التي ذكرها المؤرخون بسا ازدجرد مدينة « الخط» بناها أحد ملوكهم و « المشقر» الحصن ذو الشهرة العظيمة في كتب التاريخ الذي بناه كسرى أنوشروان .

أول عهـــد الإسلام :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي – قبل فتح مكة – إلى المنذر بن ساوى بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام ، وبكتاب إلى كسرى

---

(١) بدليل أن الفينيقيين لما ارتحلوا إلى سواحل البحر الأبيض أسسوا مدينة سموها بالجبيل .

ليرسله المنذر إليه . فأسلم المنذر وأسلم من تحت ولايته من العرب ومن لم يسلم من المجوس وغيرهم رضخ لأحكام الإسلام ، ودفع الجزية والخراج ، وأسلم بعض مرازبة الفرس ، وأرسل المنذر كتاب كسرى إليه ، وبعث وفداً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : من عبدالقيس وقد بقي العلاء أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لدى المنذر . وفي سنة تسع من الهجرة أمَّرَ الرسول صلى الله عليه وسلم أبان بن سعيد بن العاص الأموى مكان العلاء ، وكان أول خراج جبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأكثره خراج تلك البلاد الذي بعث به العلاء مع أبي عبيدة وهو مائة ألف درهم وكان لتلك البلاد في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة فقدمَّ بإقطاعها الأنصار وروي الترمذى بسند غريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى أوحى إلى أي هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قِنَّسْرِين » .

وفي السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي المنذر ابن ساوى فارتد كثير من عرب تلك البلاد إلا بني عبد القيس ، فقد قام فيهم الجارود بن المُعَلَّى ، أحد وفدهم مقاماً محموداً حتى أقنعهم بالحجة ، فبقوا على اسلامهم في قريتهم (جُوَاثَي) التي لها ذكر مجيد في التاريخ الإسلامي ، والتي لا تزال أطلالها باقية إلى الان وأطلال مسجدها الذي هوثالث مسجد عُبِدَ الله فيه حين ارتدت العرب ، وثاني مسجد أقيمت فيه أول جمعة قال شاعرهم :

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا ... والمنبران وفصل القول في الخطب

أيام لا مسجد للناس نعرفه ... إلا بطيبة ، والمحجوج ذي الحجب

وقد حوصروا في تلك القرية ، وأصابهم بسبب الحصار أذى شديد ، حتى جاءتهم الامدادات من أبي بكر رضي الله عنه بقيادة العلاء بن الحضرمي ومعه قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ، فقاتلوا المرتدين ، وطهروا تلك البقاع منهم وأصبح العلم الإسلامي يرفرف على تلك البقاع وبقي العلاء أميراً فيها

ولما تقدمت الجيوش الإسلامية لفتح بلاد الفرس بعد وفاة أبي بكر ، اغتنم العلاءُ الفرصة فأرسل جيوشاً عبرت الخليج إلى ما والاها من سواحل الفرس وبلدانهم ، واستولت على قسم عظيم منها ، وصارت من أعظم الأسباب التى ساعدت الجيوش الإسلامية التي يقودها سعد بن أبي وقاص على التقدم والتوغل في الأراضى الفارسية ، ولكن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حينما بلغه أن الجيش الذي أرسله العلاءُ قد هُزِم في إحدى الوقائع ، غضب عليه وولى مكانه أبا هريرة رضي الله عنه فمكث سنة ثم قدم على عمر بالخراج فقال له عمر ما جئت به ؟ قال خمسمائة ألف درهم . فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول ؟ قال نعم . مائة ألف خمس مرات فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلْنَا لكم كَيْلًا ، وإن شئتم عددنا لكم عَدًّا . فقام إليه رجل وقال يا أمير المؤمنين : رأيت الأعاجم يدونون ديواناً فَدَوِّنْ لنا ديواناً . فوضع عمر الديوان وهو أول من وضعه فى الإسلام . ثم إن عمر رضي الله عنه في تلك السنة أخذ نصف أموال عماله ومنهم أبو هريرة . ثم بعد أن تبينت له نزاهة أبي هريرة أراد إرجاعه في عمله ولكنه أبي فولّى على الأحساء قدامة بن مظعون القرشي وبعد سنة عزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي ولعثمان أثر حميد

في الفتح الإسلامي فقد سير الجيوش العظيمة إلى ما يليه من أرض الفرس حتى اكتسح كثيراً منها .

قال ياقوت : وأما فتح فارس فكان بدؤه أن العلاء بن الحضرمي عامل أبي بكر ثم عامل عمر على البحرين وجّه عرفجة ابن هرثمة البارقي في البحر فعبر إلى أرض فارس ففتح جزيرة مما يلي فارس فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه وقال غَرَّرْتَ بالمسلمين . وأمره أن يلحق بسعد بن أبي وقاص لأنه كان واجداً على سعد . فأراد قمعه بتوجيهه إليه ، فسار نحوه فلما بلغ ذَا قَارٍ مات العلاء ، وولى عمر عثمانَ بن أبي العاص على البحرين وعمان فوجه أخاه الحكم في البحر إلى فارس بجيش عظيم ففتح جزيرة (لافت) وهي (بركوان) ثم سار إلى (توج) ففتحها . وكتب عمر إلى عثمان بن أبي العاص أن يعبر إلى فارس بنفسه فاستخلف أخاه المغيرة ، وعبر عثمان على أرض فارس فتتابعت إليه الجيوش حتى فتحت – انتهى .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الربيع بن زياد الحارثي قد تولى الأحساء في عهد عمر رضي الله عنه [1] وليس لتلك البلاد في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما من أثر مُهِم في التواريخ .التي بين أيدينا ه .

عهد بني أمية :

وأما في عهد بني أمية فقد أصبحت الأحساءُ مسرحاً للفتن والقلاقل، وملجأً لكثير من الخوارج على تلك الدولة ، لعدم الاهتمام بها ، ومن ذلك العهد [2] أصبحت مرتبطة في الإدارة ببلاد اليمامة ، ومن ولاتها

---

(١) وذكروا أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه تولى خراجها .

(٢) بل من عهد عمر (العرب) .

في عهد معاوية : الأحوص ابن عبد بن أمية وزياد بن أبيه ومن مشاهير الخوارج الذين استولوا عليها نجدة بن عامر الحنفي فقد استولى عليها سنة ٦٧ هـ وقطع الميرة عن الحجاز حتى كتب إليه عبد الله بن عباس قائلا : إن ثمامة بن أثال لما أسلم منع الميرة عن مكة وأهلها يومئذ مشركون ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتركها ، ، وإنك قطعت عنا الميرة ونحن مسلمون . فتركها ، وبقيت تحت ولايته إلى سنة ٧٢ هـ ففيها قتله أبوفديك الخارجي وتولى مكانه حتى قتل سنة ٧٣ هـ على يد عمر بن عبيد الله ابن معمر ، الذي وجهه عبدالملك بن مروان وحاصر أصحابه في (المشقر) وقتل منهم ستة آلاف بعد نزولهم على حكمه وأسر ثمانمائة .

ومن الخوارج الذين استولوا عليها في العهد الأموي مسعود بن أبي زينب العبدي فقد استولى من سنة ٨٦ هـ إلى سنة ١٠٥ هـ حيث سار إليه سفيان بن عمر والعقيلي ببني حنيفة فقتله وفي ذلك يقول الفرزدق :

ولولا سيوف من حنيفة جردت ببرقان أضحى كاهلُ الدين أزورا

تَرَكْنَ لِمَسْعُود وزَيْنَبَ أُخْتِهِ رِدَاءاً وَجِلْبَاباً مِنَ الْمَوْتِ أحمرا

عهـــد بني العباس :

حالة هذه البلاد في أول عهد بني العباس ، لم تتغير عما هي عليه . ومن أمرائها من قبل العباسيين – داود بن علي عم السفاح ثم زياد ابن عبدالله ابن عبد المدان خال السفاح أيضاً وسليمان بن علي بن عبدالله ابن عباس من سنة ١٣٣ إلى سنة ١٣٩ وقثم بن العباس بن عبدالله سنة ١٤٣ وتميم بن سعيد بن دعلج في عهد المنصور وعمارة بن حمزة الكاتب في آخر عهده وأول عهد المهدي وسويد القائد الخراساني في عهد المهدي

وعبدالله بن مصعب في عهده أيضاً وفي عهد الهادي - وهو قبل المهدي - محمد بن سليمان إلى سنة ١٦٣ وصالح بن داود سنة ١٦٤ هـ ومن بعده النعمان مولى المهدي وفي سنة ٢٣١ تولاها من قبل الخليفة العباسي اسحاق ابن ابراهيم بن أبي حُمَيضة من أهل أضاخ القرية المعروفة بنجد .

وقد استولى عليها في هذا العهد ثوار كثيرون منهم سليمان بن حكيم العبدي الثائر سنة ١٥١ وقتل في هذه السنة على يد عقبة ابن سَلْم الذي أغزاه المنصور . .

وقد أصبحت تلك البلاد آونة تحت حكم العباسيين الإسمي ، وأخرى تحت حكم ثوار ليسوا من أهلها . وثالثة تحت حكم أناس من أهلها حتى سنة ٢٤٩ حينما اتخذها صاحب الزنج مقراً لثورته ثم سار منها إلى البصرة . ثم استقل بحكمها أناس من أهلها يقال لهم آل العياش وآخرون يقال لهم آل العريان ، ثم وقع فيهم ضعف واختلاف وشقاق أدى إلى زوال حكمهم على يد القرامطة .

عهـــد القرامطة :

وفي سنة ٢٨٧ هـ استولى على الاحساء أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي انتزعها من أمير من أهلها سماه ابن جرير (ابن بانو) وقد بقيت تحت حكم خلفائه إلى سنة ٤٧٠ هـ ومن مشاهير القرامطة أبو طاهر صاحب الفعلة النكراء الشنعاء التي أثارت سخط العالم الإسلامي وقد تولى الحكم بعد قتل أبيه الحسن سنة ٣٠١ هـ وبقي إلى سنة ٣٣٢ هـ ثم من بعده إخوانه الثلاثة الفضل ، وسعيد ، ويوسف وكانوا على حالة غريبة من الوئام والتآلف حتى توفي آخرهم يوسف سنة ٣٦٦ هـ فقام

بالأمر ستة من قومه وقد اتفقوا على تدبير أمرهم أيضاً ومن قواد القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام المتوفي سنة ٣٦٦ هـ فهو من مشاهير القواد العظام والشعراء المجيدين له وقائع مع العبيديين في الشام وعلى حدود « مصر » ومن شعره : —

إني امرؤ ليس من شأني ولا أربي ... طَبْلٌ يَرِنُّ ولا نَايٌ ولا عُـوْد
ولا اعتكاف على خَمْرٍ ومخمرة ... وذات دَلٍّ لها غُنْجٌ وتَفْنِيد
ولا أبيت بطينَ البطن من شِبَع ... ولي رَفيقٌ خَمِيْصُ البطن مجهود
ولا تسامتْ بيَ الدنيا إلى طمع ... يومًا ولا غَرَّني فيها المواعيد

وقوله : —

ياساكنَ الْبَلَدِ الْمُنِيْفِ تَعَزُّزًا ... بِقلامِهِ وحُصونه وكهوفِهِ
لا عزَّ إلاَّ للعزيز بنفسه ... وبخَيْلِهِ وبِرَجْلِه وسُيُوفِهِ
وبِقُبَّة بيضاء قد ضُرِبَتْ على ... شَرَفِ الْخِلَالِ بِجِارِهِ وضُيوفِهِ
قرم إذا اشْتَدَّ الْوَغَا أَرْدَى الْعِدَى ... وشَفَى النفوسَ بضربه وزُحوفه
لم يَجْعل الشَّرفَ التَّلِيْد لِنَفْسِهِ ... حتى أفادَ تليده بطريفه

ومن آثار القرامطة (قصر قُرَيْط) الواقع بين البطالية والمبرز ومسجد كبير قريب من آثار ذلك القصر بني في آخر عهدهم . ومن غريب أمر هذا المسجد أنه لا محراب له .

عهد العيونيين :

وفي سنة ٤٧٠هـ وثب الأمير عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد العيوفي العبقسي على القرامطة بعد أن ضعفت دولتهم وتضعضع أمرهم فاستولى على تلك البلاد وبقيت تحت حكم بنيه إلى أول القرن السابع ،

ولم تسلم في عهدهم من ثورات داخلية وإغارات خارجية من الأعراب الذين حولها .

ومن مشاهير ولاة العيونيين الفضل بن عبد الله بن علي وابناه أبو الحسن أحمد . وأبو سنان محمد الذي يقول في رثائه أحد شعراء عصره : ـ

عزيز أن أُعاتب فيك دَهْراً ... قليلٌ هَمُّهُ بِمُعَنِّفِيه !

وأن أجد الملوك ولستَ منهم ... وأن أطأ التراب وأنت فيه

وفي أول القرن السابع ضعفت تلك الدولة ، وتسلط الاعراب على البلاد بالنهب والسلب وعجز الولاة عن المدافعة حتى قال شاعر الأحساء في ذلك العصر علي بن مقرب العيوني . يخاطب أبناء عمه الولاة :

قد بان عجزكم وكلكم يَدٌ ... عنهم فكيف وأنتم حزبان ؟

لا تحسبوا شَرَّ العدوِّ تكفُّه ... عنكم مصانعة وحمل جفان!

والله ما كفَّ المعادي عنكم ... من دون سلب معاجر النسوان

أخذوا الحساء من الكثيب إلى محا ... ديث العيون إلى نقا حلوان [1] !

و(الخط) (من صفواء) حازوها فما ... أبقوا بها شبراً إلى الظهران !

ومنازل العظماء منكم أصبحت ... دوراً لهم تُكْرَى بلا أثمان!

والله لو نَهْرٌ جَرَى بدمائكم ... وشربته غيظا لما أرواني !

فَاجْلُوا فما أنتم بأوَّلِ من جلا ... واختار أوطانا على أوطان!

إني لأَخْشَى أن تُلَاقوا مثلما ... لاقى بنو (العياش) و (العريان) !

كرهوا الجلاء عن الديار فَأُهْلِكوا ... بالسَّيْف عن عَرَضٍ وبالنيران

---

(١) علق الأستاذ خالد الفرج – رحمه الله – على هذا بما نصه : (المحاديث بالدال موضع لايزال معروفاً بهذا الاسم بقرب بلد العيون .

وكان زوال العيونيين قريباً من ذلك العهد . وفي الاحساء قرية تدعى البطالية منسوبة إلى بطال بن مالك من أوائلهم وأخرى تدعى « الفضول » منسوبة إلى آل فضل[1] منهم .

وعاصمة ملكهم « الاحساء القديمة » التي « البطالية » في القديم محلة من محلاتها وهم ينسبون إلى « العيون » قرية كثيرة العيون في شمال الاحساء وباقية إلى الآن .

حكومات أخرى :

ليس لدي من المصادر ما أعتمد عليه في تعيين الحكومة التي ورثت العيونيين . وكل ما أعلم هو أنه في الفترة التي بين زوال حكمهم وبين استيلاء دولة الأجاودة امتدت سلطة دولة (أتابكية فارس السلغرية) في عهد الاتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي في سنة ٦٢٠ هـ تقريباً ثم زالت سلطتهم بوفاته سنة ٦٣٣هـ وحكم تلك البلاد رجل يقال له عصفور ابن عامر من بني عقيل ومن بعده بنوه على مانقل ابن خلدون والقلقشندي عن أبي سعيد المؤرخ أنه قال : سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة سنة ٦٥١ هـ فقالوا الملك لعصفور وبنيه .

وفي أول القرن الثامن كان ملك الاحساء سعيد بن مغامس بن سليمان ابن رميثة وفي سنة ٧٠٥ هـ انتزع الملك منه رجل يدعى جروان من بني مالك بن عامر ثم لما مات خلفه ابنه ناصر ثم ابن ابنه ابراهيم بن ناصر وكان موجوداً سنة ٧٢٠ هـ .

ومن المرجح أن بلاد الاحساء فى ذلك العهد مقسمة إلى أقسام عديدة كل

---

(١) هم غير آل فضل اللامعين الذين من طيء .

قسم له حاكم مستقل وأن القسم الساحلي لا يسلم من إغارة خارجية، واستيلاء بعض ملوك العجم المجاورين له .

دولة آل أجـــود :

قام الأمير سيف بن زامل بن جبر النجدي العقيلي فانتزع الملك من بقية الجراونة ، ولما مات خلفه في الملك أخوه أجود ، وقداتسع ملكه حتى استولى على كثير من سواحل الخليج الفارسي ، وأخذ الجزية من بعض ملوك العجم المجاورين له ويعد عهده من أزهر العهود التي مرت على تلك البلاد ، فقد سار بالعدل ونشر العلم وعامل الأهالي معاملة أبقت له من حميد الذكر مالا يزال أهل الأحساء يلهجون به إلى هذا الوقت ، وقد كان بينه وبين السيد السمهودي – مؤرخ المدينة – صداقة وطيدة ، واتصال وثيق .

وفي عهده انتقل الشيخ نصر الله من آل جعفر الطيار المدنيين إلى الاحساء ليتولى إمامة مسجد أسسه أحد الجبريين وقد استوطن هناك وخلف عائلة تتكون من أفراد كثيرين ، مرموقين من أهل تلك البلاد بعين الاحترام والإجلال لاتصاف كثير منهم بالعلم والفضل والأدب .

ولا يبعد أن يكون انتقال عائلة آل عبد القادر في ذلك العهد أيضاً وهي عائلة من أعرق العائلات في العلم والفضل والأدب تنتسب إلى الخزرج من الانصار ومن تلك العائلة علماء أفاضل نشروا العلم وتولوا بعض الأعمال وقاموا بها خير قيام ومنهم شعراء مجيدون كالشيخ عبد الله بن على آل عبد القادر بلبل الاحساء الغرِّيد الذي توفي في العقد الخامس من هـذا القـرن في أوله وله ديوان شعر

ثم بعد وفاة الملك أجود وقع الشقاق بين بنيه وكان آخرهم مقرن ابن أجود وفي عهده زالت دولتهم في سنة ٩٦٢ هـ .

ومن آثارهم في الاحساء مسجد الجبريِّ وهو من أعمر المساجد وأوسعها في داخل الكوت في الهفوف . وقصر قريب من المنيزلة احدى قرى الاحساء لم يبق منه سوى أطلاله يسمى (قصر أجود) كما أنه في أول القرن الثاني عشر استولى على جزيرة (أوال) أحد بقايا الجبريين المذكورين وفي المبرز عائلة تدعى عائلة الجبر [1] .

وبعض المؤرخين يذكر أن زوال دولة الاجود تأخر إلى سنة ٩٩٩ هـ والبعض يقول أن زوالهم فى سنة ٩٢٦ هـ والرأى الأخير لا يبعد عن الحقيقة وفي آخر هذا القرن استولى « البرتغاليون » على بعض السواحل .

عهـــد الترك الأول :

استولت حكومة الترك على الأحساء في القرن العاشر ومن أول ولاتهم في عهد السلطان سليمان محمد باشا الملقب بفروخ (أو فاتح) ومن آثاره مسجد في الكوت يسمى مسجد الدِّبس لوقوعه جوار سوق التمارين سابقاً وتاريخ عمارة ذلك المسجد مكتوب في حجر بهذا النص « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين . قد بني وعمر هذا المقام الشريف في زمان السلطان العادل سليمان خان . حضرة الحاكم الاجل قدوة الحكام كهف الأنام صاحب السيف والقلم والي بلد الحسا محمد باشا أيد الله ظلاله في سنة ٩٦٢هـ » وبنى مدرسة ومسجداً أمام باب الكوت اندرسا .

---

(١) ذكر الشيخ محمد بن عبدالقادر أن آل جبر هؤلاء من عرينة ، فلا صلة لهم بآل جبر أمراء الحساء – على هذا (العرب) .

ثم تولى من بعده علي بن أحمد باشا البريكي ومن آثاره مسجد بداخل قصر ابراهيم في الكوت وهو مسجد فخم رائع العمارة عمره سنة ٩٧٤ هـ وبنى بجواره مدرسة وعمر رباطا ومدرسة خارج القصر وقد أوفد الوالي المذكور ابنه محمداً إلى السلطان العثماني فزور الابن على أبيه رسالة ضمنها طلب تعيينه في الولاية ، فأُجيب طلبه ولما رجع اتفق مع رؤساء الجنود وهم بحبس أبيه وأخويه يحيي وأبي بكر ولكنه عدل عن ذلك لما علم بانهم لاينازعونه ، ورحلهم إلى المدينة المنورة .

ومن آثار محمد هذا المسجد الذي يؤدي أمير البلاد في هذا العصر الصلوات فيه عمره سنة ١٠٤٦ هـ.

وقد بقيت الأحساء تحت حكم الترك إلى سنة ١٠٨٠ هـ وكانت في هذا العهد عرضة لنهب الأعراب وسلبهم ، لضعف الولاة عن الدفاع عنها ولا سيما القرى التي في الأطراف .

وفي هـذا العهد قدم جـد عائلة (آل ملا) من عينتاب البلدة المعروفة مع أحـد الولاة إماماً وواعظاً فاستقر في الأحساء وأعقب أبناءاً تناسلوا وكثروا ، وصار من بينهم من امتاز بالعلم والأدب في تلك النواحي ، وأهل الأحساء يجلونهم إجلالا عظيماً ولا سيما عميد العائلة في هذا العصر الشيخ أبو بكر .

ومن أفراد تلك العائلة الآن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف الملا وهو عالم فاضل والاستاذ عبد الله بن عبد الرحمن الملا أحد خريجي (جامعة ديوبند الاسلامية) وهو شاب مهذب حر التفكير ، متصف بكثير من الأخلاق الفاضلة .

عهـد آل حميـد :

في سنه ١٠٨٠هـ استولى آل حميد وهم عرب من بني خالد على الاحساء وبقيت تحت سيطرتهم إلى سنة ١٢٠٧ هـ وقد أصبحت البلاد في عهدهم بحالة اضطراب وقلاقل ، لعدم حسن سياسة أمرائهم ولبعض الشعراء في تاريخ استيلائهم :

رأيت البـدو آل حميـد لمـا تَوَلَّوا أَحْـدَثُوا في الْخَطِّ ظُلْمـا
أتى تاريخهـم لمـا تولـوا ـ وقانا الله شرهم ـ (طغى الما)

وذيلها بعضهم قائلا :

وتاريخ الـزوال أتى طبـاقا (وغار) إذ انتهى الأَجـل المسمى

عهـد آل سعود والمصريين وابن عريعر والأتراك :

انتزع آل سعود ملك تلك البلاد من آل حميد في عهد الامام عبد العزيز بن محمد ثم ابنه سعود بن عبد العزيز وبقيت تحت حكمه وحكم ابنه عبد الله إلى سنة ١٢٣٣ هـ فانتزعها المصريون وبقيت دولة بينهم وبين ابن عريعر الخالدي وبين الاتراك وآل سعود ، وقد انتعشت حالتها في عهد آل سعود ثم تقهقرت بعدهم .

ومن آثار آل سعود فيها قصر ابراهيم المنسوب إلى أحـد أمرائهم ابراهيم ابن عفيصان [1] ويقال إن من آثارهم أيضاً قصر خزام ، وقصر صاهود .

وفي سنة ١٢٥٠ هـ استعاد ملكها الإمام فيصل بن تركي (جد جلالة

---

(١) علق الشيخ خالد الفرج على هذا : هذا غلط نشأ من أن ابراهيم بن عفيصان سكن هذا القصر ، أما الذى أنشأه فهو بانى قصر الكوت . (العرب) .

الملك عبد العزيز) وبقيت تحت حكمه وحكم ابنه الإمام عبد الله إلى سنة ١٢٨٨ هـ وقد أمر الإمام فيصل بتشييد جامع فيها يعد من أفخم المساجد هناك وهو أوسع مسجد فى تلك الجهات ، وأكبر جامع تصلى فيه الجمع .

وفي شهر شوال من السنة المذكورة استولى عليها الاتراك ، وبقيت تحت حكمهم إلى سنة ١٣٣١ هـ .

ومن أشهر ولاتها الذين يزيدون على سبعة عشر [١] والياً الفريق محمد نافذ باشا الذي نقل إلى بغداد فمكة ومدحة باشا وقد أناب عنه أحمد عزة العمري ، وهو شاعر فاضل له شعر مطبوع ومن ولاتها السيد طالب النقيب العراقي المعروف ، والمحكومة التركية في عهدها الأخير في الاحساء آثار عمرانية منها (المدرسة الرشدية) [٢] . والمستشفى الذي هو مقر المالية الآن وقصر الإمارة ويسميه أهل الاحساء (السراج) محرفا عن كلمة السراي – أي الصرح – وكثير من المباني .

عهـــد جلالة الملك عبد العزيز . :

في سنة ١٣٣١ هـ استولى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم على الاحساء وعين ابن عمه سمو الأمير عبد الله بن جلوي أميراً عليها ومكث

---

(١) وهم محمد نافذ باشا ثم صالح باشا إلى سنة ١٢٩٢ هـ ثم مدحة باشا إلى سنة ١٢٩٥ هـ ثم عاكف باشا إلى سنة ١٣١٠ هـ ثم سعيد باشا أبو البنات إلى سنة ١٣١٤ هـ ثم سعيد باشا الموصلى للمرة الثانية إلى سنة ١٣١٦ هـ ثم ابراهيم باشا الشامى إلى سنة ١٣١٨ هـ ثم موسى كاظم باشا إلى سنة ١٣٢٠ هـ ثم السيد طالب النقيب إلى سنة ١٣٢٢ هـ ثم السيد طالب محمد نجيب أبو سهيل إلى سنة ١٣٢٥ هـ ثم رشيد باشا أقل من عام ثم محمود ماهر باشا إلى سنة ١٣٢٧ هـ ثم السيد محمد إلى سنة ١٣٢٧ هـ ثم السيد محمد عارف إلى سنة ١٣٢٩ هـ ثم على باشا سعاد إلى سنة ١٣٣٠ هـ ثم أحمد نديم باشا إلى سنة ٣٣١ هـ ثم قوضت .

(٢) ممن تعلم فى هذه المدرسة الصحفى العراقى الفكه نورى ثابت صاحب جريدة « حبز بوز » وقد توفى سنة ١٣٥٤ تقريباً (العرب) .

إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٤ هـ مخلفاً عدة أبناء منهم الأمراء سعود وعبد المحسن ومنصور ومحمد وسعد وعبد العزيز وتركي وأكبرهم فهد الذي قتل في خياة والده وله من الابناء الامراء خالد ومحمد وفيصل .

وبعد وفاة الأمير عبد الله تولى الإمارة ابنه سعود الامير الحالي .

وقد تقدمت الاحساء في هذا العهد في شتى المسائل الحيوية تقدما محسوساً ومن مشاريع الاصلاح التي جرى تنفيذها تأسيس عدة دوائر لأجراء الأعمال على طريقة تكفل صلاحها وموافقتها لما فيه النفع العام كالبلدية والمالية والمعارف وغيرها كما هي الحال في الحجاز ، وقد اهتمت حكومة جلالة الملك باصلاح البلاد في مختلف مرافقها الحيوية اهتماما تدريجيا ، وفق النواميس التي جعل الله جميع الأمور لاتتجاوزها وإن الأمل في الله وطيد بان يجعل عهد هذا الملك الميمون عهداً زاهراً .

مكة المكرمة : حمد الجاسر